مَـا يُعِينُ عَلَى التَّهَجُّدْ

اعلم رحمنا الله وإياك أن قيام الليل عسير على الخلق إلاّ على من سبقت له من ربه الحسنى ، ومَنْ وُفِّق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهراً وباطناً .

الأسباب الظاهرة :

الأول : قلة الطعام وعدم الإكثار منه :

فقلة الطعام سحاب ، وإذا قلّ الأكل مطر القلب الحكمة ، فالواجب على الناصح لنفسه ألا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ، ويثقل عليه القيام ، أمَا تُبصر حديث رسول الله ﷺ الذى رواه أبو جحيفة « **أقصر من جُشائك ، فإن أكثر الناس شبعاً فى الدنيا أكثرهم جوعاً فى الآخرة** » (١) .

ويذم قوماً كثر أكلهم حتى ظهر فيهم السمن لأنهم أكلوا تلذذاً فيقول ﷺ : « **خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يأتى من بعدهم قوم يتسمَّنون ، ويحبون السِّمَن ، يعطون الشهادة قبل أن يسألوها** » (٢) ، بل إن رسول الله ﷺ يغمز من يحبون السمانة فقال ﷺ « **خير أمتى القرن الذى بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يخلف قوم يحبون السّمانة ، يشهدون قبل أن يستشهدوا** » (٣) .

ويقول ﷺ : « **ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه** » (٤) .

---

(١) حسن : أخرجه الحاكم فى المستدرك ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ١١٩٠ ، والصحيحة رقم ٣٤٢ ، وذكر نحوه ابن المبارك فى الزهد عن أيوب بن عثمان ، وأخرجه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا .

(٢) صحيح أخرجه الحاكم فى المستدرك والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٣٢٩٠ والصحيحة رقم ٦٩٩ عن عمر بن هين .

(٣) رواه مسلم عن أبى هريرة

(٤) صحيح : أخرجه أحمد فى مسنده والترمذى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وابن المبارك وابن سعد وابن عساكر عن المقدام بن معديكرب وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٥٥٥٠)

- قالت أم سليمان بن داود لابنها سليمان : « يا بنى لا تكثر النوم فيفقرك يوم يحتاج الناس إلى أعمالهم »[1] .
- ورأى معقل بن حبيب قوماً يأكلون كثيراً فقال : ما نرى أصحابنا يريدون يصلون الليلة .
- وقال عون بن عبد الله : «كان قيم لبنى اسرائيل يقوم عليهم إذا أفطروا فيقول : لا تأكلوا كثيراً ، فإن أكلتم كثيراً نمتم كثيراً ، وإن نمتم كثيراً صليتم قليلاً »[2] .
- وقال وهب بن منبه : « ليس من بنى آدم أحب إلى شيطانه من الأكول النوّام »[3] .
- وقال عبد الواحد بن زيد : « من قوى على بطنه قوى على دينه ، ومن قوى على بطنه قوى على الأخلاق الصالحة ، ومن لم يعرف مضرته فى دينه من قِبَلِ بطنه فذاك رجل فى العابدين أعمى »[4] .

ولّما أدعيت الحب قالت كذبتني   فما لى أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا   وتذبل حتى ما تجيب المناديا

وقال مسعر بن كدام :

وجدتُ الجوع يطرده رغيف   وملء الكف من ماء الفرات
وقل الطعم عون للمصلى   وكثر الطعم عون للسبات[5]

وقال مكحول : أفضل العبادة بعد الفرائض الجوع والظمأ .

وقال بكر بن خنيس : «كان يقال الجائع الظمآن أفهم للموعظة ، وقلبه إلى الرقة أسرع ، وكان يقال كثرة الطعام تدفع كثيراً من الخير»[6] .

(١ ، ٢)مختصر قيام الليل ص ٢٤
(٣) الزهد لابن حنبل ص ٣٧٣
(٤) الحلية ج ٦ ص ١٥٧
(٥) الحلية ج ٧ ص ٢١٩
(٦) الحلية ج ٥ ص ١٨١

وليس الجوع هنا هو الجوع المنهى عنه فى السنة إنما هو قلة الأكل .

وقال بهلول :

نجوع فإن الجوع من علم التقى   وإن طويل الجوع يومًا سيشبع [1]

ويقول آخر :

أفلح الزاهدون والعابدونا   إذ لمولاهمُ أجاعوا البطونا [2]

وقد يحتج من يلتمس الحيل بأن سفيان الثورى أكل حتى شبع وأنه رحمه الله كان كثير الأكل ، فاسمع معى رحمك الله إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى إذ يقول فى « الفتح الربانى » : « لا تقتد بسفيان فى كثرة الأكل ، واقتد به فى كثرة عبادته ، فلست سفيان ، لا تشبع نفسك كما كان يشبعها ، فلست تملكها كما كان هو يملك نفسه » [3] .

● وها هو سفيان يقول لك : « عليكم بقلة الأكل تملكوا قيام الليل » [4] .

(الثانى) : الإقتصاد فى الكد نهاراً :

فلا يتعب نفسه بالنهار فى الأعمال التى تعيا بها الجوارح ، وتضعف بها الأعصاب ، فإن ذلك مجلبة للنوم ، وعليه بالقصد فى هذه الأعمال ، وأن يتجنب فضول الكلام ، وفضول المخالطة التى تشتت القلب .

(الثالث) : الإستعانة بالقيلولة نهاراً فإنها سنة :

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **قيلوا فإن الشياطين لا تقيل** » [5] .

---

(١) صفة الصفوة ٢/٢٩١ .

(٢) صفة الصفوة ٤/٣٥ .

(٣) الفتح الربانى للجيلانى ص٢٧٣ ـ دار الكتاب العربى ببيروت .

(٤) تنبيه المغترين ص ٣٥ .

(٥) حسن : أخرجه أبو نعيم فى « الطب » والطبرانى فى « الأوسط » وضعفه ابن حجر فى الفتح=

● وعن مجاهد بلغ عمر رضى الله عنه أن عاملاً له لا يقيل فكتب إليه أما بعد فَقِلْ فإن الشيطان لا يقيل .

● وعن خوّات بن جبير قال : نوم أول النهار حمق ، ووسطه خلق ، وآخره خُرق [1] .

● ومرّ الحسن بقوم فى السوق فرأى صخبهم ولغطهم ، فقال : أما يقيل هؤلاء ؟ قالوا : لا قال : إنى لأرى ليلهم ليل سوء .

● وقال إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة : القائلة من عمل أهل الخير ، وهى مجمَّة للفؤاد ، مقوّاة على قيام الليل .

(الرابع) : ترك المعاصى فقد قَيَّدَتْنا خطايانا :

فلا يحتقب الأوزار بالنهار ، فإن ذلك يقسى القلب ، ويحول بينه وبين أسباب الرحمة .

● قال رجل للحسن البصرى : يا أبا سعيد : إنى أبيت معافى ، وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بالى لا أقوم ؟ فقال : ذنوبك قيدتك .

● وقال الثورى : «حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته [2] . قيل : وما هو ؟ قال : رأيت رجلاً يبكى ، فقلت فى نفسى : هذا مراء » .

رحمهم الله قلّت ذنوبهم فعلموا من أين أُوتوا ، ونحن كثرت ذنوبنا فلم ندر من أين أُتِينا .

● وقال الحسن : إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار .

= (٥٨/١١) . والسخاوى فى المقاصد والعجلونى فى «كشف الخفاء» والمناوى فى «فيض القدير» وحسّنه السيوطى والألبانى . انظر صحيح الجامع رقم (٤٣٠٧) والسلسلة الصحيحة رقم (٢٦٤٧) .

(١) بالضم إسم ، والمصدر خَرَق بفتحتين والصفة أخرق وهو ضد الرقيق .

(٢) الحلية جـ٧ صفحة ١٥ .

وقيل : كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وكم من نظرة حرمت قراءة سورة ، وإن العبد ليأكل الأكلة ، أو يفعل فعلة فيُحرم بها قيام السنة ، فبحسن التفقد يعرف المزيد من النقصان ، وبقلة الذنوب يوقف على التفقد .

- وقال أبو سليمان : لا يفوت أحداً صلاة جماعة إلا بذنب .
- وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكى ، فقلت : أتاك نعى بعض أهلك ؟ فقال أشد ، فقلت : وجع يؤلمك ؟ قال : أشد ، قلت : فما ذاك ؟ قال : « بابى مغلق وسترى مسبل ، ولم أقرأ حزبى البارحة ، وما ذاك إلا بذنب أحدثته ، وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير ، والشر يدعو إلى الشر ، والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير » . وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات .
- قال رجل لإبراهيم بن أدهم : إنى لا أقدر على قيام الليل فصِفْ لى دواء ؟ فقال : لاتعصه بالنهار ، وهو يقيمك بين يديه فى الليل ، فإن وقوفك بين يديه فى الليل من أعظم الشرف ، والعاصى لا يستحق ذلك الشرف [(١)] .
- وقال الفضيل بن عياض : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار ، فاعلم أنك محروم مكبل كبّلتك خطيئتك [(٢)] .
- قال أبو سليمان الدارانى : « من أحسن فى ليله كُفى فى نهاره ، ومَنْ أحسن فى نهاره كُفى فى ليله ، ومَنْ صدق فى ترك شهوة كُفى مؤنتها ، وكان الله أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تُركت له » [(٣)] .
- وقال أحمد بن أبى الحوارى : قُلت لأبى سليمان : « لَمْ أُوتر البارحة ، ولَمْ أصل ركعتى الفجر ، ولم أصلّ الصبح فى جماعة . قال : بما كسبتْ يداك ، والله ليس بظلاّم للعبيد ، شهوة أصبتها » [(٣)] .

---

(١) تنبيه المغترين ص ٣٤ .

(٢) الحلية جـ٨ ص ٩١ .

(٣) الحلية جـ٩ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ .

• قيل لابن مسعود رضي الله عنه : ما نستطيع قيام الليل ؟ قال : «أبعدتكم ذنوبكم ، وقيل للحسن : عجزنا عن قيام الليل . قال : قيدّتكم خطاياكم ، إنما يؤهل الملوك للخلوة بهم من يصدق فى ودادهم ومعاملتهم ، فأمّا مَنْ كان من أهل مخالفتهم فلا يرضونه لذلك » .

أيها المعرض عنّا إن إعراضك منّا
لو أردناك جَعَلْنَا كلُّ ما فيك يردنا

نعم يا أخي : هانوا عليه فعصوه ، ولو عزّوا عليه لعصمهم ، لأوقفهم بين يديه حين يسكن كل خليل إلى خليله .

أردناكم صِرْفًا فلمّا مزجتمُ بَعَدْتُمْ بمقدار التفاتكمُ عنّا
وقُلْنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا فأسكنتم الأغيار ما أنتمُ منّا

• من فقد الله فماذا وجد ؟ ومَنْ وَجَدَ الله فماذا فقد ؟

عِبادٌ أعرضوا عنّا بلا جُرم ولا معنى
أساءوا ظنهم فينا فهلاّ أحسنوا الظنا
فإنْ خانوا فما خُنّا وإن عادوا فقدْ عُدْنا
وإن كانوا قد استغْنوا فإنّا عنهُم أغنى

• وفى بعض الآثار : « يقول الله عز وجل فى كل ليلة : يا جبريل أقِمْ فلاناً ، وأَنِمْ فلاناً » .

يقول الجيلانى : هذا على وجهين :

الوجه الأول : أقم فلاناً المحب ، وأَنِمْ فلاناً المحبوب ، هذا قد ادعى محبتي ، لابُدّ أن أناقشه ، وأقيمه مقامه حتى يتساقط عنه أوراق وجوده مع غيرى ، أقمه حتى يتبين برهان دعواه حتى تتحقق محبته ، وأنِمْ فلاناً لأنه محبوب طالما تعب ما بقيت عنده بقية من غيرى ، اتخذت محبته لى ، وتحققت دعواه

وبرهانه ووفاؤه بعهدى ، جاءت النوبة إليّ ، ووفائى بعهده ، هو ضيف والضيف لا يستخدم ويتعب، أُنوّمه في جحر لطفي، وأُقعده على مائدة فضلي، وأونسه بقربى ، وأُغيّبه عن غيرى ، قد صحّت مودته ، فإذا صحّت المودة زال عناء التكليف ، وأصبح لذة لا يجد فيها مشقة (١).

والوجه الآخر : أنم فلاناً فإنى أكره صوته ، وأقم فلاناً فإنى أحب سماع صوته ، إنما يصير المحب محبوباً إذا طهّر قلبه عما سوى مولاه عز وجل ، إذا تم توحيده وتوكله وإيمانه وإيقانه ومعرفته صار حينئذ محبوباً يذهب الشقاء وتجيئه الراحة .

- يا أخى : قد قيّد الطرد قدميك ، وغلّ الإبعاد يديك ، أفما لك عين تبكى عليك ؟

وفى نظر الصادى إلى الماء حسرة   إذا كان ممنوعاً سبيل الموارد

- الرابع : طيب المطعم :

قال بعض العلماء : إذا صمت يا مسكين ، فانظر عند من تفطر ، وعلى أى شيء تفطر ، فإن العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عمّا كان عليه ولا يعود إلى حالته الأولى ، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب ، وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام ، وتؤثر اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها ، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع ، ولذلك قال بعضهم : كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وإن العبد ليأكل أكلة فيحرم قيام سنة (٣). لأنه لم يجتنب أكل الشبهات .

---

(١) هذا لا يعنى اسقاط التكليف فهذا كفر بواح .
(٢) الفتح الربانى ص ٢٥٦ ، ٢٦٠ .
(٣) إحياء علوم الدين ص ٢٤٥ .

واسمع إلى قول ابن أدهم : « أطب مطعمك ، ولا عليك أن لا تقوم بالليل وتصوم النهار »[1] .

● الخامس : (ترك السمر بعد العشاء لكراهته) :

عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ : « **لا سمر إلا لمصل أو مسافر** »[2] .

وعن ابن نصر : لا سمر بعد العشاء الآخرة إلا لأحد رجلين مصل أو مسافر .

« والسَّمَر لغة : بفتح الميم من المسامرة الحديث بالليل ، وقيل بسكونها مصدر ، وأصل السمر ضوء القمر لأنهم كانوا يتحدثون فيه »[3] .

● عن عبد الله بن مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يجدب لنا السمر بعد العشاء »[4] .

ويجدب : يعيب ويذم .

قال عروة بن الزبير : انصرفت بعد العشاء الآخرة فسمعت كلامي عائشة رضي الله عنها ـ خالتي ونحن في حجرة ، بيننا وبينها سقف فقالت : يا عروة أو يا عُرَيّة ، ما هذا السمر ، إني ما رأيت رسول الله ﷺ نائماً قبل هذه الصلاة ولا متحدثاً بعدها ، إمّا نائماً فيسلم ، أو مصلياً فيغنم .

---

(١) الحلية جـ٨ ص٣١ .

(٢) صحيح : رواه أحمد في المسند ، والطيالسي وابن نصر في قيام الليل وأبو نعيم في الحلية ، والخطيب في التاريخ ، وإسناد أحمد ضعفه الشيخ أحمد شاكر لجهالة راويه عن ابن مسعود ، وقال الهيثمي في المجمع : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط ، فأما أحمد وأبو يعلى فقال عن خيثمة عن رجل وقال الطبراني عن خيثمة عن زياد بن حدير وهو تابعي ثقة وثقه أبو حاتم وذكره ابن حبان في الثقات . قال الشيخ شاكر فالإسناد عند الطبراني من طريقه إسناد صحيح ، وصحح الحديث الشيخ الألباني في صحيح الجامع وحسنه السيوطي رقم ٧٣٧٥ والصحيحة رقم (٢٤٣٥) ، انظر مسند أحمد بتحقيق شاكر رقم ٣٦٠٣ .

(٣) فيض القدير للمناوي جـ٦ ص٤٢٧ ـ طبعة دار المعرفة .

(٤) إسناده حسن : رواه أحمد في مسنده وابن ماجة ، وحسّن إسناده الشيخ أحمد شاكر انظر مسند أحمد جزء «٥» حديث رقم ٣٦٨٦ ص٣٧٨٧ .

• وجاء رجل إلى حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فدعاه على بابه فخرج إليه فقال : ما حاجتك ؟ فقال : الحديث ، فأغلق الباب دونه وقال : جدب لنا عمر بن الخطاب الحديث بعد العتمة .

• وعن سلمان بن ربيعة : كان عمر رضى الله عنه يجدب لنا السمر بعد صلاة النوم . وعن ابن رافع قال : كان عمر يَنُش[1] الناس بدرّته بعد العتمة يقول : قوموا لعلّ الله يرزقكم صلاة .

• وعن خرشة بن الحر رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يضرب الناس بالدرة بعد صلاة العشاء ويقول : أَسَمَرٌ أوّل الليل ونومٌ آخره ! !

• وعن حصين : كتب عمر رضى الله عنه : إن العرب تحب السمر فأخرّوا صلاة العشاء حتى لا يكون بعدها سمر .

• وعن عمرة أن عائشة رضى الله عنها كانت إذا سمعت أحداً من أهلها يتحدث بعد العشاء قالت : أريحوا كُتَّابَكُم ، وكانت ترسل إلى عروة : يا ابن أختى أَرِحْ كاتبك .

وقالت : لاسمر إلا لثلاثة مسافر أو متهجد أو عرس .

• وكان ناس من قريش يسمرون بعد العشاء فكانت ترسل إليهم : أن ارجعوا إلى بيوتكم ، ليكن لأهليكم فيكم نصيب .

• وقال ابن عباس : ما أحبّ النوم قبلها ولا الحديث بعدها .

وعن معاوية بن قرة أن أباه كان يقول لبنيه إذا صلى العشاء : يا بَنِىّ ناموا لعلّ الليل يرزقكم من الليل خيراً .

• وقال سعيد بن المسيب : لأن أنام قبل العتمة أحبّ مِنْ أَنْ ألغو بعدها .

---

(١) أى يسوقهم سوقاً خفيفاً رقيقاً إلى بيوتهم .

● وعن خيثمة : كانوا يستحبون إذا وتر الرجل أن ينام .

● عن أبي برزة الأسلمي قال : كان النبي ﷺ يستحب أن يؤخر العشاء ، قال : وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها (١) . ا . هـ

قال الحافظ فى الفتح : « قال عياض : السَّمَر : رويناه بفتح الميم ، وقال أبو مروان بن سراج الصواب سكونها لأنه اسم الفعل ، وأما بالفتح فهو اعتماد السمر للمحادثة ، وأصله من لون ضوء القمر لأنهم كانوا يتحدثون فيه ، وهو يطلق على الجمع والواحد وكان يُكره النوم قبلها لأنه قد يؤدى إلى إخراجها من وقتها مطلقاً ، أو عن الوقت المختار ، والسمر بعدها قد يؤدى إلى النوم عن الصبح ، أو عن وقتها المختار ، أو عن قيام الليل ، وإذا تقرر أن علة النهى ذلك فقد يُفَرَّق بينَ الليالى الطوال والقصار ، ويمكن أن تحمل على الكراهة على الإطلاق حسماً للمادة ، لأن الشىء إذا شرع لكونه مظنة قد يستمر فيصير مئنة والله أعلم » (٢) .

فائدة : إباحة السمر بعد العشاء لمذاكرة العلم أو مع الأهل أو فى أمرٍ من أمور المسلمين :

● قال أنس بن مالك رضى الله عنه : نظرنا النبى ﷺ ذات ليلة حتى كان شطر الليل يبلغه فجاء فصلّى لنا ، ثم خطبنا فقال : « **ألا إن الناس قد صلّوا ثم رقدوا ، وإنكم لن تزالوا فى صلاة ما انتظرتم الصلاة** » (٣) .

قال الحسن : وإن القوم لا يزالون بخير ما انتظروا الخير .

● عن عبد الله بن عمر قال ، صلّى النبى ﷺ صلاة العشاء فى آخر حياته فلما سلم قام النبى ﷺ فقال : أرأيتكم ليلتكم هذه ، فإن رأس مائة لا يبقى ممّن هو على ظهر الأرض أحد ، فوهل الناس فى مقالة رسول الله ﷺ إلى ما يتحدثون

---

(١) جزء من حديث للبخارى ــ كتاب مواقيت الصلاة باب السمر بعد العشاء وأخرجه أيضاً محمد بن نصر فى القيام . انظر مختصر قيام الليل .

(٢) فتح البارى جـ٢ ص٧٣ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب مواقيت الصلاة باب السمر فى الفقه والخير بعد العشاء .

من هذه الأحاديث عن مائة سنة ، وإنما قال النبي ﷺ : لا يبقى ممّن هو اليوم على ظهر الأرض ـ يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن .

• عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنه قال : إن أصحاب الصفّة كانوا أناساً فقراء وإن النبي ﷺ قال : مَنْ كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، وإن أربع فخامس أو سادس ، وإن أبا بكر جاء بثلاثة ، فانطلق النبي ﷺ بعشرة فهو أنا وأبي وأمي فلا أدرى قال وامرأتى ـ وخادم بيننا وبين بيت أبي بكر ، وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ ، ثم لبث حيث صُليت العشاء ، ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي ﷺ فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله ، قالت له امرأته : وما حبسك عن أضيافك أو قالت ضيفك ، قال : أَوَ مَا عشيتهم ؟ قالت : أَبَوْا حتى تجيء ، قد عرضوا فأبوا ، قال : فذهبت أنا فاختبأت فقال يا غنثَر ، فجدع وسبّ ! وقال : كلوا لا هنيئاً . فقال : والله لا أطعمه أبداً ، وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا رَبَى من أسفلها أكثر منها قال : يعنى حتى شبعوا ، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك ، فنظر إليها أبو بكر فإذا هى كما هى ، أو أكثر منها ، فقال لامرأته : يا أخت بنى فراس ما هذا ؟ قالت : لا وقرة عيني لهى الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات ، فأكل منها أبو بكر وقال : إنما كان ذلك من الشيطان ـ يعنى يمينه ـ ثم أكل منها لقمة ... (١) الحديث .

قال الحافظ فى الفتح : ووجه الإستدلال من حديث عبد الرحمن اشتغال أبي بكر بعد صلاة العشاء بمجيئه إلى بيته ، ومراجعته لخبر الأضياف ، واشتغاله بما دار بينهم وذلك كله معنى السمر ، لأنه سمر مشتمل على مخاطبة وملاطفة ومعاتبة (١) ا . هـ

---

(١) رواه البخارى كتاب مواقيت الصلاة باب السمر مع الضيف والأهل جـ٢ ص٧٦ من فتح البارى .

● عن ابن عباس رضى الله عنه قال : بت فى بيت ميمونة ، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد ..[1] الحديث .

● قال الحافظ : « إنْ قيل هذا إنما يدل على السمر مع الأهل لا فى العلم . فالجواب أنه يلحق به والجامع تحصيل الفائدة ، هو بدليل الفحوى ، لأنه إذا شرع فى المباح ففى المستحب من طريق الأولى »[2] .

● وعن أنس رضى الله عنه : أن أسيد بن حضير ورجل آخر من الأنصار[3] تحدثا عند رسول الله ﷺ فى حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة فى ليلة شديدة الظلمة ، ثم خرجا وبيد كل من عَصيّة ، فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا فى ضوئها ، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر فمشى كل منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ أهله[4] .

● عن عبد الله بن عمرو : كان نبى الله ﷺ يحدثنا عن بنى إسرائيل حتى يصبح لا يقوم إلا إلى عظيم صلاة[5] .

والسمر فى العلم يلحق بالسمر فى الصلاة نافلة .

وقد سمر عمر مع أبى موسى فى مذاكرة الفقه فقال أبو موسى : الصلاة فقال عمر : إنّا فى صلاة ، وسمر ابن عباس عند معاوية حتى ذهب هزيع[6] من الليل ، وصلى على بن أبى طالب ليلة صلاة العتمة وقعد وقعدوا يستفتونه فلما كثروا قال : ليجلس كل نفر منكم فى مجلس ، ثم ليلقنوا رجلاً منكم حاجتهم ثم يبعثوه إلىّ ، ففعلنا ذلك ، فلم نزل نسأله ويفتينا حتى أُذِّن بصلاة الصبح ،

---

(١) رواه البخارى فى التفسير وهو جزء من حديث ابن عباس .

(٢) فتح البارى جـ١ ص٢١٣ كتاب العلم باب السمر بالعلم .

(٣) هو عبّاد بن بشر . جزم به البخارى . وأتما فى رواية أحمد والحاكم .

(٤) أخرجه البخارى معلقاً . ووصله الإسماعيلى من طريق عبدالرزاق فى مصنفه وأحمد والحاكم .

(٥) رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة .

(٦) أى طائفة منه . نحو ثلثه وربعه .

فقال : قوموا فأوتروا فإنا لن نوتر .

- وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى « أنه كان يسمر مع على بن أبي طالب »[1] .
- وسمر حذيفة وابن مسعود عند الوليد بن عقبة وهو أمير الكوفة ، فخرجا من عنده فلما أصبحا أوتر كل منهما بركعة .

وسمر المسوّر بن مخرمة عند ابن عباس ليلة حتى طلعت الزهرة ، فوضع ابن عباس رأسه فما انتبه إلا بأصوات أهل السوق فقال : أترونى أصلى الوتر وركعتى الفجر وأصلى المكتوبة قبل طلوع الشمس ، قالوا : نعم ، ففعل ذلك .

- وعن ابن عباس : تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها .
- وعن مكحول : تواعد المسلمون ليلة بالجابيـة وهى بلدة بالشام ، فقام أبو هريرة يحدثهم حتى أصبح .
- وعن عروة : كنا نتحدث عند حجرة عائشة رضى الله عنها بالليل ، فربما نادتنى : يا ابن أختى قد طلع الفجر .
- وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى وأصحابه بعد العشاء يتحدثون ورجل قائم يصلى ، فقال له عبد الرحمن : أما إنك لو دنوت منا فإنّا فى خير نتفقه .
- وعن عطاء وطاووس ومجاهد قالوا : لا بأس بالسمر فى الفقه .
- وكان لعمر بن عبد العزيز سُمّار ، فكان علامة ما بينه وبينهم إذا أحبّ أن يقوموا أن يقول : إذا شئتم ، فإذا أوتر لم يكلم أحداً .
- وكان القاسم يجلس بعد العشاء الآخرة هو وأصحاب له يتحدثون هنيهة .
- والتقى عمر بن عبد العزيز قبل أن يستخلف وطاووس فتقاوما[2] فى ناحية من المسجد الحرام حتى أصبحا .

---

(١) انظر مختصر قيام الليل .

(٢) أى قام أحدهما للآخر .

● وسمر أيوب مع هشام بن عروة بالمدينة ليلة حتى أصبح[1] ا هـ

قال صاحب « تحفة الأحوذى » :

« وطريقة الجمع بينهما ـ الأقوال فى منع وجواز السمر ـ أن تُحمل أحاديث المنع على السمر الذى لا يكون لحاجة دينية ، ولا لما بُدّ من الحوائج ، وقد بوّب البخارى فى صحيحه باب السمر فى العلم ، وقال العينى فى شرح البخارى : نبه على أن السمر المنهى عنه إنما هو فى ما لا يكون من الخير ، وأما السّمر بالخير فليس بمنهى ، بل مرغوب فيه »[2] ا هـ

السادس : عدم المبالغة فى حشو الفراش :

ومما يعين أيضًا على قيام الليل عدم المبالغة فى حشو الفراش لأنه سبب لكثرة النوم والغفلة ومجلب للكسل والدعة ، ولقد كان فراش رسول الله ﷺ من الحصير الذى خطَّ فى جنبه ، وكانت وسادته التى ينام عليها بالليل من أدم حشوها ليف . وها هو رسول الله ﷺ يضرب لنا المثل ويجهز فاطمة بالجهاز الذى يقربهـا ويعينها على الآخرة .

فعن على رضى الله عنه قال : « جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل وقربة ووسادة أدم حشوها ليف الإذخر »[3] . الخميل : القطيفة ، والإذخر : حشيشة رطبة طيبة الرائحة .

السابع : النوم على الجانب الأيمن :

ومما يعين على قيام الليل النوم على الجانب الأيمن ، وقد سبق تفسير شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية عن السبب فى ذلك وعلته .

---

(١) مختصر قيام الليل ص٥٠ ، ٥١ .

(٢) تحفة الأحوذى جـ١ ص١٥٣ الطبعة الهندية

(٣) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . زائدة بن قدامة سمع من عطاء بن السائب قديماً قبل تغيره .

الميسرات الباطنة لقيام الليل

● قال الغزالى فى « إحياء علوم الدين » : وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور :

(الأول) : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا ، فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام ، وإن قام فلا يتفكر فى صلاته إلا فى مهماته ، ولا يجول إلا فى وساوسه ، وفى مثل ذلك يقال :

يُخَبّرنى البَوّابُ أنك نائم   وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائم

(الثانى) : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل ، فإنه إذا تفكر أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره :

إن فى القبر إن نزلت إليه   لرقادٌ يطول بعد المات
ومهاداً ممهداً لك فيه   بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من مَلَك المو   ت وكم نال آمنا ببيات !!

(الثالث) أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار : حتى يستحكم به رجاؤه فهيّجه الشوق لطلب المزيد ، والرغبة فى درجات الجنان ـ كما حدث لأبى ريحانة رضى الله عنه حين قدم من غزوته كما مرّ بك .

(الرابع) وهو أشرف البواعث : حب الله وقوة الإيمان بأنه فى قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مُناجٍ به ربه ومطّلع عليه : مع مشاهدة ما يخطر بقلبه ، وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه ، فإذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به [1] وتلذذ بالمناجاة ، فتحمله لذة المناجاة للحبيب على طول القيام . ولا ينبغى أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل .

---

(١) كان شيخ الإسلام ابن تيمية يخرج إلى الصحراء ويقول :

وأخرج من بين البيوت لعلنى   أُحَدِّث عنك القلب بالسر خالياً

• فأما العقل : فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله ، أو لملك بسبب إنعامه وأمواله ، أنه كيف يتلذذ به فى الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله .

إن يطل بَعْدُكَ ليلى فلكم بتُّ أشكو قصر الليل مَعَكْ

فإن قلت إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه ، وأن الله تعالى لا يرى ، فأعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر ، أو كان فى بيت مظلم ، لكان المحب يتلذذ بمحاورته المجردة دون النظر ودون الطمع فى أمر آخر سواه ، وكان يتنعم بإظهار حبه له وذكره بلسانه بمسمع منه ، وإن كان ذلك أيضاً معلوماً عنده ، فإن قلت إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى ، فأعلم أنه إن كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه ، فقد بقيت له أيضاً لذة فى عرض أحواله عليه ، ورفع سريرته إليه ، كيف والمُوقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره فى أثناء مناجاته فيتلذذ به ، وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء إنعامه ، والرجاء فى حق الله أصدق ، وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره ، فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات .

• وأما النقل : فيشهد له أحواله قوّام الليل فى تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال حبيبه .

• حتى قيل لبعضهم : كيف أنت والليل ؟ قال : « ما راعيته قط يرينى وجهه ، ثم ينصرف وما تأملته بعد ».

• وقال آخر : « أنا والليل فرسا رهان ، مرّة يسبقنى إلى الفجر ، ومرّة يقطعنى عن الفكر » .

• وقيل لبعضهم : كيف الليل عليك ؟ فقال : « ساعة أنا فيها بين حالتين : أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع ، ما تمّ فرحى به قط » .

● وقال أبو سليمان : « لوْ عوّض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم » .

● وقال ابن المنكدر : ما بقى من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ، ولقاء الإخوان ، والصلاة فى الجماعة .

● وقال بعض العارفين : « إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ، ثم تنتشر من قلوبهم العوافى إلى قلوب الغافلين » .

● وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول الليل ، وطلب حيلة يجلب بها النوم ، فقال أستاذه يا بنى إن لله نفحات فى الليل والنهار ، تصيب القلوب المتيقظة ، وتخطىء القلوب النائمة فَتَعَرّض لتلك النفحات . فقال يا سيدى : تركتنى لا أنام بالليل ولا بالنهار .

وأعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما فى قيام الليل من صفاء القلوب وإندفاع الشواغل .

● واعلم رحمك الله أن قيام الليل علامة من علامات المحبة لله كما قال شيخ الإسلام ابن القيم فى « مدارج السالكين » .

● قال العلامة الفيروزأبادى رحمه الله ـ وقد ذكر الأسباب العشرة الجالبة لمحبة الله تعالى فذكر منها [1] :

١ ـ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه والتفطن لمراد الله منه ـ ولعمر الله هذا أكمل وأتم وأقوم قيلاً فى الليل .

٢ ـ « التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فإنها توصل إلى درجة المحبوبية بعد المحبة » . وأعلى النوافل مرتبة صلاة الليل .

---

(١) بصائر ذوى التمييز بلطائف الكتاب العزيز ٢ : ٤٢١ ـ ٤٢٢ طبع مجمع البحوث الإسلامية .

٣ ـ « الخلوة به سبحانه وقت النزول الإلهى لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقالب والقلب بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار » .

٤ ـ « إيثار محابّه سبحانه على محابّك عند غلبات الهوى » ـ وهذا أكمل شيء فى القيام حين يترك الإنسان دفء الفراش للتهجد .